٤

العولمة الغربية
رؤية نقدية في ضوء القرآن الكريم

Western Globalozation
A Critical view in the Light of the Holy Quran

الأستاذ المساعد: دكتور
حمه سعيد على محمد سعيد
الجامعة العراقية / كلية الآداب

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي-الجامعة العراقية
كلية التربية للبنات

الملخص

العولمة مصطلح جديد ومعاصر وهو من المصطلحات والمفاهيم الحديثة، هذا المصطلح (أيْ العولمة- يستأثر في الوقت الراهن باهتمام كبيرٍ من الفئة المثقفة والعامة في المجتمعات الاسلامية، وتدور في دائرة هذا المصطلح جملةً من الآراء والتفسيرات بين ناقدٍ متشددٍ يصرّ على الإنكار والاستنكار والرَّفض، وتابعٍ متساهلٍ يهرول مندفعاً للحاق بركبها حتى أصبحت مفردةُ (العولمة) محلَّ اختلاف واسع في تحديد ماهيتها وأهدافها!

ففي زحمة الاتفاق والاختلاف تظهر الحاجة (بحسب رأي الباحث- الى إجابةٍ شافيةٍ وكافيةٍ حول هذا المصطلح الشائك، وضرورة تلمّس معالجة إسلاميةٍ (وقرآنية تحديداً- لمفردات وجزئيات ظاهرة العولمة وأسُسها الفكرية.

من هذا المنطلق وشعوراً بوجوب أداء الواجب الشرعي، واستجابة للضرورة الواقعية جاء هذا البحث لكي يسلّط الضوء على هذه الظاهرة ولكي يضع النقاط على حروف تلك المفردة من خلال النصوص وآيات القرآن الكريم.

ABSTRACT

Globalization is a new and contemporary term and it is one of the modern terms and concepts. This term - i.e. globalization - currently captures a great deal of interest from the educated and general category in Islamic societies, and revolves in the circle of this term a number of opinions and interpretations between a hard-line critic who insists on denial, denial and rejection, and a permissive follower rushing to catch up with it, until the word «globalization» became the subject of wide disagreement in defining its nature and goals!

In the crowd of agreement and disagreement, the need appears - according to the researcher›s opinion - for a sufficient and adequate answer to this thorny term, and the need to find an Islamic - and specifically Qur›anic - treatment of the vocabulary and parts of the globalization phenomenon and its intellectual foundations.

From this point of view and a sense of the obligation to perform the legal duty, and in response to the realistic necessity, this research came in order to shed light on this phenomenon and to put points on the letters of that word through the texts and verses of the Noble Qur'an.

مقدمة

الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور، والصلاة والسلام على محمد وعلى آله وصحبه اجمعين، وبعد:

ان القرآن الكريم هو المصدر الأول الصالح لكل زمانٍ ومكان لهداية البشرية كلِّها في مختلف مجالات الحياة، وهو الكتاب الوحيد الذي يرسم لهم المعالم الصحيحة للوصول الى السعادة الأبدية، فأي محاولة فهمٍ او إصلاحٍ تتجاوزه فمآلها الى الفشل والخسران.

ولقد فطن سلفنا الصالح الى مصدرية هذا الكتاب العظيم وسيادته الحكيمة وهيمنته الكبرى على العقول الانسانية، فسادوا العالم بعد أن جعلوه المرجع الوحيد في بناء العلوم والمعارف الدقيقة التي تضبط لهم النظرة السلمية الى الانسان والحياة والوجود، وكيفية إقامة الروابط والعلاقات بين هذه العناصر الثلاثة بما يتناسب مع الفطرة الإنسانية والإجتماعية وصولاً الى إقامة مجتمعٍ شعارهُ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾[1] التي ترنوا اليها أعناق المصلحين الربانيّن في كل عصرٍ و مصر.

ومن أَجل تفعيل هدايته الشاملة الكاملة في عصر العولمةعلى الصورة التي تتناسب مع جمال هذا الكتاب وكمالِه وعظمته وإعادة سيادة الأمة الاسلامية الى ماكان عليه السلف الصالح، فإن على المسلمين اليوم بصورة عامة والباحثين المعنيين بالدراسات القرآنية والشرعية بصورة خاصة أَن يجدّدوا قراءتهم للأحداث والتطورات والمفاهيم والمصطلحات المعاصرة بصيغةٍ مستمرة من منظور هذا الكتاب الكريم بما يتناسب مع قدراتهم وإمكاناتهم المتاحة لهم.

مصطلح (العولمة) مصطلح جديد ومعاصر وهو من المصطلحات و المفاهم الحديثة والمعاصرة، هذا المصطلح -أيْ العولمة- سيتأثر في الوقت الراهن باهتمام كبيرٍ من الفئة المثقفة والعامة في المجتمعات الاسلامية، وتدور في دائرة هذا المصطلح جملةً من الآراء والتفسيرات بين ناقدٍ متشددٍ يصرّ على الإنكار والاستنكار والرَّفض، وتابعٍ متساهلٍ يهرول مندفعاً للحاق بركبها حتى أصبحت مفردةُ (العولمة) محلَّ اختلاف واسع في تحديد ماهيتها وأهدافها!

ففي زحمة الاتفاق والاختلاف تظهر الحاجة -بحسب رأي الباحث- الى إجابةٍ شافيةٍ وكافيةٍ حول هذا المصطلح الشائك، وضرورة تلمّس معالجة إسلاميةٍ -وقرآنية تحديداً- لمفردات وجزئيات ظاهرة العولمة وأُسُسها الفكرية.

من هذا المنطلق وشعوراً بوجوب أداء الواجب الشرعي، واستجابة للضرورة الواقعية جاء هذا البحث لكي يسلّط الضوء على هذه الظاهرة ولكي يضع النقاط على حروف تلك المفردة من خلال النصوص وآيات القرآن الكريم.

سبب اختيار الموضوع:

ان الدافع الأكبر والأهم الى كتابة هذا البحث هو عدم وجود بحثٍ موسَّعٍ ودراسة موسَّعة -على حدّ

(١) سورة سبأ، الآية ١٥.

علم الباحث- تتحدث بشكلٍ علميٍ ومنهجيٍ دقيقٍ وواضحٍ عن هذه الظاهرة وزواياها المختلفة من خلال الرؤية القرآنية البحتة، فأغلب الدراسات والكتابات بخصوص ظاهرة العولمة تتحدث عن العولمة بصورة عامة او عن جانب من جوانبها، أو تتحدَّث عن آثارها ونتائجها سلباً او إيجاباً وكلٌّ حسب تخصُّصه ومنظوره الخاص، دون معالجةٍ علميةٍ منهجيةٍ رصينةٍ ودقيقةٍ لتلك الظاهرة على ضوء القرآن الكريم.

الدراسات السابقة وأهمية هذه الدراسة:

العولمة أخذت حيزاً كبيراً من الاهتمام والبحث لدى الدارسين والباحثين المعاصرين، لكن -كما يبدو- أغلب الدراسات التي كُتبت هي دراساتٌ عامةٌ في جوانب مختلفة وهي ليست محل اهتمام الباحث كتلك الكتابات التي تتناول العولمة من منظور إسلامي، وأبرزها -في نظر الباحث- هي:

١. العولمة التجارية والادارية والقانونية رؤية اسلامية جديدة/ كامل أبو صقر.

٢. عالمية الإسلام ومادية العولمة/ سميح عاطف الدين.

٣. الهوية الاسلام في زمن العولمة الثقافية/ خليل نوري مسيهر العاني.

٤. صراع الحضارات بين عولمة غربية وبعث اسلامي/ د.جعفر شيخ ادريس.

٥. الاسلام والعولمة/ مجموعة من الباحثين.

٦. الاسلام في عصر العولمة/ د.محمود حمدي زقزوق.

٧. أثر العولمة على الثقافة الاسلامية/ د.عبدالرافع محمد احمد.

٨. دور التربية الاسلامية في مواجهة التحديات الثقافية/ صلاح بن ردود بن حامد، رسالة علمية.

٩. العولمة/ دكتور عبدالكريم بكار.

١٠. العولمة الاقتصادية من منظور اسلامي/ د.عبدالله بن حسين الموجان.

١١. تحديات العولمة واثارها على العالم العربي/ د.غربي محمد.

١٢. العالم الاسلامي بين التخلف الحضاري ورياح العولمة/ د.فؤاد البنا.

١٣. المسلمون والعولمة/ يوسف القرضاوي

هذه العناوين والدراسات وإنْ تناولت موضوع العولمة من منظورٍ إسلامي ومن زوايا عدة محددة، لكن بعد الرجوع والاطلاع عليها اتضح أنها دراسات تنقصها المنهجية العلمية ولم تعالج موضوع العولمة وأبعادها المختلفة من خلال رؤيةٍ قرآنيةٍ واضحةٍ وهذا هو الذي يبرز أهمية هذه الدراسة واختلافها عن الكتابات والدراسات التي سبقتها.

اهداف البحث:

تهدف هذا البحث الوصول الى الآتي:

١. بيان حقيقة وماهية ظاهرة العولمة.

٢. الكشف عن وسائل وأدوات نشر العولمة

٣. التأسيس والتأصيل لموقف اسلامي نابعٍ من نصوص قرآنية حيال قضية عالمية شائكة وهي قضية العولمة.

٤. الإسهام في تقديم دراسةٍ علميةٍ منهجيةٍ قرآنيةٍ لمعالجة قضيةٍ لاتزال مَوْردَ نقاشٍ بين المفكرين والأكاديميين وكل المهتمين بالمحيط الثقافي والحقل القرآني.

وعلى ضوء ما تقدم ذكُرُه جاء هذا البحث منقسماً الى مبحثين:

المبحث الأول: العولمة مفهومها، نشأتها، مؤسساتها، مجالاتها، أهدافها.

تكلمتُ في هذا المبحث عن مفهوم العولمة وتأريخ منشأتها وبدايات ظهورها، وأَهمّ مؤسساتها وأَدوات نشرها، وأبرز مجالاتها وحقولها وأهدافها المتعددة، وذلك كالآتي:

المطلب الأول: تعريف العولمة لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: بدايات نشأة العولمة

المطلب الثالث: مؤسسات وأدوات العولمة

المطلب الرابع: مجالات العولمة

المطلب الخامس: أهداف العولمة

المبحث الثاني: العولمة الغربية في ضوء القرآن الكريم

تكلمت في هذا المبحث عن مصطلح العولمة والتعامل معه، والفرق بين مصطلح العولمة ومصطلح العالمية، وتكلّمت عن بعض المؤاخذات على العولمة الغربية، كذلك تكلمت عن امكانية تعامل المسلمين مع العولمة الغربية ومدى الاستفادة منها. وذلك كالآتي:

المطلب الأول: حول مصطلح العولمة والتعامل معه

المطلب الثاني: بين العولمة والعالمية

المطلب الثالث: مؤاخذات على العولمة

المطلب الرابع: هل يمكن للمسلمين التعامل والاستفادة من العولمة الغربية

الخاتمة: وتشمل أهم نتائج البحث

فهرس المصادر والمراجع

هذا ما استطعت تقديمه للقارئ في هذا العمل والبحث المتواضع، فإن كان صواباً فمن الله، وإن كان خطأً فمني ومن الشيطان، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول
العولمة: مفهومها، نشأتها، مؤسساتها، مجالاتها، أهدافها

ويشتمل على المطالب الآتية:

المطلب الأول: تعريف العولمة لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: بدايات نشأة العولمة

المطلب الثالث: مؤسسات وأدوات العولمة

المطلب الرابع: مجالات العولمة

المطلب الخامس: أهداف العولمة

المطلب الأول: تعريف العولمة لغة واصطلاحاً

مصطلح (العولمة) من المصطلحات المعاصرة الأكثر جدلاً والتي استعملها الباحثون والكتاب في

مجالات مختلفة شملت السياسة والاقتصاد والاجتماع والتربية والتقنية والثقافة والأدب والإعلام والبيئة وغيرها من المجالات الأخرى.

رغم أن البعض يرى أَن العولمة ظاهرة من الظواهر الكبرى فهي توصف أَكثر من أَنْ تُعرَّف، لكن لابدّ من محاولة صياغةِ تعريفٍ تقريبي -لغة واصطلاحا- يتمّ من خلاله توضيح هذه الظاهرة ويساعد في تصوّر أَهمِّ ملامحها وتجلياتها.

العولمة لغة:

لأن مفردة (العولمة) مفردةٌ جديدةٌ ومستحدثة، لم يتمكن الباحثون في كتب وقواميس اللغة العربية ومعاجمها المعتبرة من العثور على كلمةٍ تقابل هذا المصطلح الجديد بهذه الصيغة الصرفة... فيقال إن العولمة هو تعريب لمصطلح Globalization في اللغة الانجليزية التي تعني تعميم الشيء وتوسيع دائرته ويمكن التعبير عنها بـ(كوكبة) او (عولمة)[1]، فالعولمة هي مصدر للفعل الرباعي المجرد: عَوْلَمَ على وزن فَعْلَلَ فيقال: عَوْلَمَ يُعَوْلِمُ عولمةً على وزن فَعْلَلَ يُفَعْلِلُ فَعْلَلَةً كما نقول: وَسْوَسَ وَسْوَسةً، حَوْقَلَ حَوْقلة، زَلْزَل زلزلةً...الخ.

يقول الدكتور عبد الصبور شاهين (عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة):

اذا جاءت كلمة عولمة وجب حملها على معنى الإحداث أو الإضافة في مقابل Globalization[2].

بناء على ذلك فإن صيغة (فَعْلَلَة) التي تأتي منها (العولمة) إنما تستعمل للتعبير عن مفهوم الإحداث، فيكون معنى العولمة: الإشارة الى حَدَثٍ عالمي، لأن المصطلح الإنجليزي الآنف ذكْرُهُ يدلّ على جَعْلِ الشيء عالميّ النطاق.. وجدير بالذكر هنا أَن (مجمع اللغة العربية بالقاهرة) قرَّر إجازة استعمال (العولمة) بمعنى: جَعْل الشيء عالمياً[3].

فعندما نقول مثلاً: عولمة النظام الاقتصادي، او عولمة السياسة، او عولمة الثقافة، فإننا نعني تحوُّل كلٍ منها من الإطار القومي والمحلّي ليندمج ويتكامل مع النظم الأخرى المثيلة لها في العالم، يقول المفكر الاسلامي محمد عمارة: (فالصيغة الصرفية (فَوْعَلَة).. غالباً ما تعني الدَّمجَ المخطط والقسري في قالبٍ واحدٍ، ونفى التنوّع و التعدّد والتمايز والاختلاف)[4].

العولمة اصطلاحاً:

لاشك ان الباحثين لم يتفقوا على تعريف واحدٍ للعولمة، فكل واحدٍ يعرِّفها من منظور تخصصه ومجال عَمَله، فهناك تعريف من منظور سياسي، هناك تعريف

(١) ينظر: العرب والعولمة، محمد عابد الجابري، مركز الدراسات الوحدة العربية، ١٩٩٨من ص١٣٥، العولمة الثقافية واثرها على الهوية الاسلامية، محمد الهواري، مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية، ٢٠١٣م، ص١٥٣.

(٢) ينظر: العولمة جريمة تذويب الأصالة، عبد الصبور شاهين، كتاب المعرفة، السعودية، العدد ٤٨، ص٣٧.

(٣) ينظر: مجلة الهلال، محمود فهمي حجازي، ٢٠٠١م، القاهرة، ص٨٧.

(٤) بين العالمية الاسلامية والعولمة الغربية، د.محمد عمارة، مكتبة الامام البخاري للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٩، ص٢٨.

من منظور إقتصادي، هناك تعريف من منظور تقني تكنولوجي، هناك تعريف من منظور أمني عسكري إستخباري، هناك تعريف من منظور قانوني الى آخره... وهذا ما دَفَع أَحد الباحثين إلى القول (ان صياغة تعريفٍ دقيقٍ للعولمة تبدو مسألة شاقة نظراً لتعدد تعريفاتها، والتي تتأثر أَساساً بانحيازات الباحثين الايدولوجية واتجاهاتهم إزاء العولمة رفضاً أو قبولاً)[1].

فنلحظ ان لدينا عدداً ليس بقليلٍ من التعريفات التي وضعت لبيان مفهوم وحقيقة العولمة، لذا نحاول هنا أَن نذكر بعضاً من هذه التعاريف، ثم بعد ذلك نقدِّم التعريف الذي يجمع بين عناصر هذه التعاريف ويوضّح المفهوم والمعنى الحقيقي للعولمة.

- يقول الدكتور محمد عمارة: العولمة هي اجتياح للحضارة الغربية مُمَثَّلَةً بالنموذج الأمريكي للحضارات الأخرى[2].

- يقول محمد عابد الجابري: العولمة في صورتها الراهنة هي الدعوة الى تنميط العالم بالنمط الغربي، أو الدعوة الى توسيع النموذج الأمريكي وفسح المجال له ليشمل العالم كله، لذا يُقرن بين العولمة والأمركة[3].

- يقول احمد مجدي حجازي أَن العولمة هي: العملية التي يتمّ بمقتضاها الغاء الحواجز بين الدول والشعوب والتي تنتقل فيها المجتمعات من حالة الفرقة والتجزئة الى حالة الاقتراب والتوحّد، ومن حالة الصراع إلى حالة التوافق، ومن حالة التباين والتمايز الى حالة التجانس والتماثل، وهنا يتشكل وعيٌ عالمي وقِيَم موحدة تقوم على مواثيق إنسانية عامة[4].

- يقول محمد سعيد ابو زعرور أَن العولمة: نظامٌ عالميٌّ يقوم على العقل الإلكتروني وثورة المعلومات القائمة على المعلومات والإبداع التقني غير المحدود دون اعتبار للأَنظمة والحضارات والثقافات والقيم والحدود الجغرافية والسياسية القائمة في العالم[5].

- يقول الدكتور عبدالله البزاز: العولمة رديفٌ للأَمركة وإِنْ تَقنَّعت بأقنعة العلم والتكنولوجيا، فنموذج الثقافة الأمريكي يتسلَّلُ عبر الشركات عابرة القارات الى كل مكان في العالم وينشر بسرعة مذهلة... الأَمركة هنا أمركةُ مظاهر الحياة كلها سواءً في الاقتصاد او العلوم، او القيم والتقاليد، وحتى

(١) ندوة الاسلام والعولمة، مجموعة من الباحثين، الدار القومية العربية، ص١٠١.

(٢) ينظر: مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، دكتور محمد عمارة، ١٩٩٩م، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ص١٤.

(٣) ينظر: العولمة والهوية الثقافية، محمد عابد الجابري، دار المستقبل العربي، بيروت، العدد ٢٢٨، ١٩٩٨م، ص١٣٧.

(٤) ينظر: العولمة وآليات التهميش في الثقافة الغربية، احمد مجدي حجازي، ١٩٩٨م، ص٣.

(٥) ينظر: العولمة ماهيتها نشأتها اهدافها الخيار البديل، محمد سعيد ابو زعرور، دار البيارق، الأرون، ط١، ١٩٩٨م، ص١٣.

الألعاب والفنون والأمراض والجوع[1].

- يقول الفيلسوف الفرنسي (روجيه جارودي) إن العولمة: نظامٌ يمكِّن الأَقوياء من فرض الدكتاتوريات اللاإنسانية التي تسمح بافتراس المستضعفين بذريعة التبادل الحرّ وحرية السوق[2].

بعد عرض هذه التعريفات يمكن القول: ان العولمة في مفهومها العام: اتجاه متنام يصبح معه العالم دائرةً اجتماعية وسياسيةً واقتصادية وثقافيةً تتلاشى في داخلها الحدود بين الدول، فالتعريف الذي يمكن أَن يتضمن هذا المفهوم وعناصر تلك التعريفات ويوضح المفهوم الحقيقي للعولمة نوجزه في الآتي:

التداخل الواضح لأمور الاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة والسلوك دون اعتداد يُذكر بالحدود السياسة للدول ذات السيادة، او الانتماء إلى وطنٍ محددٍ، أو إلى دولةٍ معنية... فالعولمة مصطلح بدأ لينتهي بالمواطن من وطينته وقومتيه وانتمائه الديني والاجتماعي والسياسي والثقافي.

ولعلَّ كلمة الرئيس الأمريكي الأسبق (جورج بوش-الأب) التي قالها في خطاب له أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة بتأريخ١/ ١٠/ ١٩٩٠ من إنه ينظر إلى عام ٢٠٠٠م على أَنه (عالم حدودٍ مفتوحة، عالم تجارة مفتوحة، وأهم من كل شيء: عالم عقولٍ مفتوحة) [3] توضّح المراد الحقيقي بالعولمة... فهي عالم العقول المفتوحة والاقتصاد المفتوح الذي ينظر اليه الناظرون على انه إدخال العالم بأسره -شاء أَم أَبى- تحت منظومةٍ واحدة، فكريةٍ وثقافيةٍ وتشريعيةٍ واقتصادية واجتماعية وعسكريةٍ يقبل بها الناس طوعاً أو كرهاً، ويتنازلون عن خصائصهم العقدية والتشريعية وعن قيمهم وأعرافهم ليعيشوا ضمن اطار واحد.

المطلب الثاني: تأريخ العولمة وبدايات نشأتها

يرى كثير من الباحثين أن العولمة ليست فكرة جديدة، أَو مفهوماً جديداً، فهي كفكرة عُمرها أكثر من خمسة قرون جاءت مع الكشوف الجغرافية، غير أن ثورة الاتصالات والمعلومات أشاعتها لكن ضمن المتسارع للحياة، في مقابل محو الهويات الأخرى صاحبة الميراث والتأريخ...

ويقول آخرون أن العولمة هي وليدة المبدأ الرأسمالي وإحدى إفرازاته الفكرية، وأَن أواسط عقد الأربعين يعدّ الحقبة التي وُضِع فيها الحجر الأساس للعولمة[4]، وأنها بدأت تتبلور بعد نجاح الولايات

(١) ينظر: العولمة والتربية، جريدة البيان، الامارات العربية المتحدة -دبي، العدد ٢٥، ١٦/ يوليو/ ٢٠٠١م.

(٢) ينظر: العولمة والحياة الثقافية في العالم الاسلامي، المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرياض، موقع ارسيسكوا (الشبكة العنكبوتية).

(٣) العولمة، زين الدين الركابي، جريمة الشرق الأوسط، ١٣/ ٣/ ١٩٩٩، ص٢٦.

(٤) ينظر: اثر الهوية على الثقافة الاسلامية، د.عبدالرافع محمد امين، مجلة الدراسات الدعوية، العدد ٧، يناير ٢٠٠٤م، ص٢.

المتحدة وحلفائها الغربيين في تفكيك الاتحاد السوفيتي والأنظمة التي كانت تدور في فلكه، وتحلَّت بكثير من الوضوح والتحدي بعد حرب تحرير الكويت، وإحكام السيطرة على منابع النفط في العالم.

العولمة من حيث نشأتها وبداياتها تأريخها قدم، لكن الذي يتجدَّد هي وسائلها، فالعولمة ظاهرة عالمية قديمة من حيث الجوهر والمضمون والأَهداف، لكنها ظاهرة عالمية جديدة من حيث الوسائل والطرق والاساليب، فالعولمة عند البعض لها إمتداد تأريخي لا يقل عن (١٥٠) سنة، فهي تشكلَّت وتطوَّرت بفعل مجموعة من العوامل السياسية العالمية عبر خمسة عشر عقداً من الآن، وكان أَول مظاهرها التنسيق العالمي حول توحيد وقت الساعات وفقاً لساعة (جرينتش) عام ١٨٨٤م، وظهور أول خدمةٍ دولية للتلغراف عبر المحيطات عام ١٨٦٦م، وانشاء عصبة الأمم عام ١٩١٩م، وكذلك ظهور أول إذاعةٍ عالمية بالراديو عبر ست قاراتٍ في آن واحدٍ عام ١٩٣٠م، وميثاق الأمم المتحدة عام ١٩٤٥م لتحقيق التعاون الدولي، وإنشاء محكمة العدل الدولية ومجلس الأمن وغير ذلك من التطورات على الصعيد الاقتصادي والسياسي والأمني والاعلامي والعسكري الى آخره... ثم صارت العولمة بعد ذلك كما لو كانت تياراً متدفقاً يسري في أَوصال العالم ليوحّد بين جميع أجزائه[1].

(١) ينظر: تحديات العولمة واثارها على العالم العربي، دكتور غربي محمد، مجلة اقتصاديات شمال افريقيا، العدد السادس، ص١٧-١٩، العولمة الثقافية واثرها على الهوية الاسلامية، ص١٥٤، الخروج من فخ العولمة، د.كمال الدين عبدالغني المرسي، اسكندرية، ط١، ٢٠٠٢م، ص١٣-١٤.

(٢) ينظر: العولمة الاقتصادية من منظور اسلامي، دكتور عبدالله بن حسين الموجان، مكتبة الملك فهد الوطنية، مكة المكرمة، ط١، ٢٠٠٤م، ص٢٢-٢٣.

(٣) ينظر: الاسلام والعولمة، سامي محمد صالح الدلال، مجلة البيان، ط١، ٢٠٠٤م، ص٥٠-٥١، العولمة الثقافية اثارها و اساليب مواجهتها، د.صالح سليمان الرقب، عمان-الأردن، ط ٢٠٠٨، ص٢٠، العولمة: طبيعتها-وسائلها، تحدياتها-التعامل معها، عبدالكريم بكار، المملكة الأردنية الهاشمية، ط٣، ٢٠١٣، ص ٥٤-٥٥.

وخلاصة ما يراه الباحثون أَن العولمة ظاهرة قديمة لها أصول وجذور سابقة ولها عولمات مماثلة في التأريخ كالعولمة اليونانية والعولمة الرومانية والعولمة العربية أَيضاً... لكنهم يرون أَن ظاهرة العولمة الغربية التي تعيشها العالم الآن تختلف عن تلك الظواهر التاريخية السابقة اختلافاً جذرياً من حيث الوسائل والتقنيات، وان كانت لا تتباين مع العولمة اليونانية والرومانية وعولمة التتار في الأهداف والغايات[2].

المطلب الثالث: مؤسسات العولمة ووسائل نشرها

مؤسسات العولمة:

لاشك ان اولئك الذين يقودون العولمة ولكي يحافظوا على مواطئ أقدامهم ورعاية مصالحهم شرعوا في إنشاء الأُطُر والمؤسسات الدولية على المستويات القانونية والسياسية والاقتصادية والثقافية والتي تمثِّل مؤسسات وهياكل رسمية وقانونية للعولمة، هذه المؤسسات كثيرة ومتعددة، من أبرزها[3]:

١. منظمة الأمم المتحدة UN.

٢. صندوق النقد الدولي IMF.

٣. البنك الدولي للانشاء والتعمير IBRO.

٤. منظمة التجارة العالمية WTO وأعضاءها في إزياد مستمر.

٥. منظمة الوحدة الأوروبية

٦. الحلف الاطلسي

٧. نادي باريس، وهي مؤسسة مالية ذات سلطة كبيرة ومعقدة.

فهذه المؤسسات لها دور كبير وفاعل جداً في نشر العولمة، وتتمتع بإمكانات هائلة على كل المستويات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية ووُفِّرت لها كل الطرق والوسائل المتاحة لتغطية جميع أَرجاء العالم بدون أيّ معوِّقات!

وسائل وأدوات العولمة:

من اهم الوسائل والادوات التي تستخدمها العولمة[1]

١-الشركات المتعددة الجنسية:

تفيد بعض الدراسات ان تلك الشركات بلغت (٤٠٠) ألف شركة، وتعمل من خلال (٢٠٠) الف فرع في العالم، وأَنّ أكبر (١٠٠) شركة عالمية تسيطر على ٥٠٪ من رصيد وأموال تلك الشركات! ونتقاسم امريكا وفرنسا وبريطانيا والمانيا واليابان فيما بينها (١٧٢) شركة من أكبر مِئَتيْ شركة في العالم، هذه الشركات مسؤولة عن ثلث النتاج العالمي، و ٧٥٪ من الطاقة العالمية الخاصة بالبحث والتطوير، وهي تستخدم أكثر من (٧٥) مليون عامل.

٢-العقوبات الاقتصادية:

وذلك عن طريق منظمة الأمم المتحدة، وأحياناً عقوبات أمريكية أُحادية، وذلك بحججٍ عديدة كانتهاك حقوق الإنسان، ومكافحة الإرهاب، ومنع انتشار الأسلحة النووية، ومحاربة المخدرات وحماية البيئة.

٣-شبكة الانترنت:

الإنترنت إبداعٌ أمريكي وهي تنشر مفاهيم الغرب وأَشياءه، لذا فان أَكثر من ٩٨٪ من المعلومات الموجودة عليها هي بلغات غربية، هذه الشبكة أَتاحت التفاعل الحرّ المباشر بين أَعدادٍ ضخمةٍ من البشر بصرف النظر عن الحدود الجغرافية واختلاف الجنس والثقافة، فهي أتاحت عولمة المعلومات والمفاهيم والأفكار والثقافات الأخرى.

٤-الاعلام والبثّ الفضائي:

لا شك أن هناك (٥٠٠) قمراً صناعياً تدور حول الأرض تحمل في مضامينها صوراً ورموزاً ودلالاتٍ للحياة العصرية، كذلك المحطات والقنوات الفضائية، التي تبثّ على مدار الساعة وتحرّك شهية الناس لنمط الحياة الغربية، أما المجلات

(١) ينظر: الاسلام والعولمة، ص٥١-٥٢، العولمة طبيعتها-وسائلها-تحدياتها-التعامل معها، ص٥٣-٥٩، العولمة، سليمان بن صالح الخراشي، مكتبة الملك فهد للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٠، ص٣٣، العولمة الثقافية آثارها واساليب مواجهتها.

المتخصصة منها الأخرى تترك آثاراً سلبية على حياة الناس، فحسب الإحصاءات هناك (١٠) الآف مجلة متخصصة في شؤون العلم والأَزياء والطبخ والأثاث المنزلي وتصوير الحياة الاجتماعية المنشودة.

٥-الإعلان:

يقول الباحثون أن ميزانية الإعلان في العالم سنوياً تجاوزت أكثر من (٣٣٠) مليار دولار امريكي!

إضافة إلى ما سبق: فإنَّ التقنية الحديثة -بجانب الوسائل التي ذُكِرتْ- هي الوسيلة الرئيسة في نشر العولمة وتتمثل في:

- الصحافة الدولية ومؤسّسات النشر.
- السياحة والرياضة.
- بنوك المعلومات وبنوك المال.
- السينما والمسرح.
- المؤتمرات والندوات.
- الحاسبات العملاقة.
- المؤسسات بجميع تخصصاتها.
- التوسّع في قبول الطلاب الأَجانب في الجامعات والمعاهد الغربية بهدف ترسيخ الثقافة الغربية، واستخدام تلك الطلاب كوسيلة إضافية لنشر العولمة.

هذه الرسائل وإنْ استخدمت ايضاً في نشر الإسلام عالمياً لكن كان بشكل محدود جداً لا يكاد يقارن مع استعمالاتها الكبيرة في نشر العولمة الغربية.

المطلب الرابع: مجالات العولمة

هناك مجالات وأَشكال مختلفة للعولمة منها السياسة، ومنها الاقتصادية، ومنها الثقافية والإعلامية، ومنها الاجتماعية وغير ذلك، هذه المجالات متداخلة فيما بينها، غير اني أكتفي هنا بذكر المجالات الرئيسة والبارزة، وهي:

العولمة السياسية: وتعني فرض سياسات الدول الكبرى على الدول الصغرى والدول النامية والإسلامية تحديداً، وتذويب الحدود بين الدول، والإلغاء التدريجي لسلطان الحكومات على شعوبها بطرقٍ كثيرةٍ لتشجيع الأقليات العرقية والدينية على التمرُّد، وإرسال الوفود والبعثات لتقصّي الحقائق وتقسيم العالم الى مناطق جيوبوليتيكية واعتمادها بشكل اساسي على أَداتين رئيسين لتحقيق السيطرة على العالم وهما: العقوبات الاقتصادية والتدخل العسكري المباشر في مناطق مختلفة[١].

العولمة الاقتصادية: وهي تركّز على فكرة وحدة السوق الاقتصادي، وإزالة المعوِّقات أَمام حركة رأس المال والحرية الاقتصادية، وتستخدم هذه العولمة عدداً من الوسائل كصندوق النقد الدولي والبنك الدولي ومنظمة التجارة العالمية، والشركات المتعددة الجنسية، والإعلام والدعاية الإعلامية، يرى البعض ان العولمة الاقتصادية تأتي في قلب منظومة العولمة، بل هي أهم آليات هذه المنظومة[٢].

(١) ينظر: تأثير العولمة السياسية على الوطن العربي، اشرف غالب ابوصالحة، رسالة علمية، جامعة الشرق الأوسط، ٢٠١٢م، ص ٦١-٦٢.

(٢) ينظر: العولمة الاقتصادية من منظور اسلامي، ص ٦٠.

العولمة الثقافية والاجتماعية: وهي ايجاد ثقافة عالمية تعني بتوحيد القيم حول المرأة والأسرة وجميع ما يُمكن أَن يندرج تحت لفظة الثقافة، فهي توحيد الثقافات بغير حدود، وآلة العولمة الثقافية: الإعلام بوسائله المختلفة، والاتصالات بقطاعاته المتعددة!

يرى الباحثون أَن العولمة الثقافية والاجتماعية هي أَخطر أنواع و مجالات العولمة، لأنه هي التي تمهّد وتهيّءَ الشعوب والمجتمعات للتقبل والاستجابة والاستسلام للعولمة السياسية والاقتصادية، غير ذلك لأن هذه العولمة تترك آثاراً ومخاطر على الدين والعقيدة واللغة والقيم والأَخلاق والعادات والتقاليد والأعراف والعلاقات الاجتماعية والأُسرية، فهي يُقصد بها التدخل المباشر في ثقافات الشعوب والمجتمعات الإسلامية[1].

المطلب الخامس: اهداف العولمة

روَّج دعاة العولمة مجموعة من المقولات لصالح العولمة، ومن ذلك: أن العولمة تبشرٌ بالازدهار الاقتصادي والتنمية والرفاهية والانتعاش ونشر التقنية الحديثة وتسهيل الحصول على المعلومات والأفكار عن طريق الثورة المعلوماتية، كذلك الانطلاق نحو الأَسواق الخارجية وتدُّفق الاستثمارات والانتعاش بالاقتصاد الوطني والقومي الخ..

لكن سرعان ما اكتشف الباحثون والمفكرون أَن تلك المقولات ما هي الإشعارات استهلاكية، فطغيان العولمة واحتكارات الشركات الدولية زادتها فقراً وخضوعاً للسياسات الغربية الرأسمالية!

فأهمّ أهداف العولمة الغربية في نظر هؤلاء الباحثين هي الآتي:

في المجال الاقتصادي[2]:

- السيطرة على رؤوس الأموال العربية والاسلامية واستثماراتها في الغرب.
- الهيمنة الأمريكية على اقتصاديات العالم من خلال القضاء على سلطة وقوة الدولة الوطنية في المجال الاقتصادي.
- جعل الدولة الوطنية تحت رحمة صندوق النقد الدولي حين تستجدي منه المعونة والمساعدة.

وفي اشارة الى خطر العولمة في المجال الاقتصادي يقول مهاتير محمد رئيس وزراء ماليزيا الأَسبق: (أَن منظمة التجارة العالمية تسمح للدول الغنية بابتلاع الدول الفقيرة)[3].

في المجال السياسي:

- فرض الهيمنة السياسة الغربية على الأَنظمة الحاكمة والشعوب التابعة لها والتحكم في مركز القرار السياسي وصناعته في دول العالم لخدمة المصالح الغربية والأمريكية، يقول (جون بوتنغ) رئيس المدراء التنفيذيين السابق في بنك بنسلفانيا: (في العولمة نحن نقرر من الذي سيعيش، ونحن نقرِّر من الذي

(١) الاسلام والعولمة، ص٦٣.

(٢) ينظر: العولمة: ماهيتها نشأتها اهدافها، ص٣٦.

(٣) العولمة وتأثيرها على المجتمع، مقالة كتبها: فضل عبدالرحمن، بتأريخ ١٣/ مارس/ ٢٠١٠.

سيموت)[1].

- إضعاف سلطة الدولة الوطنية، او إلغاء دورها وتقليل فاعليتها وقتل روح الإنتماء في نفوس أَبناءها، فالعولمة نظام يقفز على الدولة والوطن والأمة.

- بَعْثَرةُ الشعوب المسلمة وتفرّقها والقضاء على مقومات الوحدة والتضامن الاسلامي، وتفريغ المنظمات والمجتمعات الإسلامية من مضامينها الحقيقية حتى تبقى عاجزة عن تحقيق آمال وأماني المسلمين[2].

في المجال الديني[3]:

- استبعاد دارا لإسلام وإقصائه عن الحكم والتشريع والتربية والأخلاق.

- التشكيك في المعتقدات الإسلامية من خلال التشكيك في مرجعياتها الأصلية (القرآن والسنة)، وطمس المقدسات الدينية للشعوب المسلمة لصالح الفكر المادي اللاديني الغربي.

- تحويل المناسبات الدينية والإسلامية إلى مناسبات استهلاكية وذلك بتفريغها من القيم والغايات الإيمانية والتربوية إلى قيم السوق الاستهلاكية، يقول جلال أَمين: (وهناك من يَكْرَهُ العولمة لا لسبب اقتصادي بل لسببٍ ديني، فالعولمة آتية من مراكز دينها غير ديننا... والأساس ليس غزواً اقتصاديا، بل غزوٌ من جانب فلسفة للحياة معاديةٍ للدين)[4].

في المجال الثقافي والاجتماعي والخُلُقي:

- الترويج لفلسفة النظام الغربي الرأسمالي النفعي البراجماتي وفرض الثقافة الغربية الواحدة، وجعلها محلَّ الصدارة[5].

- احتواء ومحاربة اللغة العربية وهي لغة الإسلام والقرآن باعتبارها إِحدى السمات الأساسية للإسلام والناطق والمعبَّر عن الهوية.

- تغيير المناهج التعليمية في البلاد الإسلامية والترويج للمناهج التعليمية الغربية في المدارس والمؤسسات التعليمية والجامعية.

- إقحام المرأة في كل المجالات دون استثناء، بقصد استغلالها تحت عنوان الثقافة والفن لتكون أداةً ميدانية لتطويع الشعوب والمجتمعات الاسلامية للهجمة الثقافية والإباحية الغربية.

- تعميق مفهوم الحرية الشخصية في العلاقة الاجتماعية خاصة في العلاقة بين الرجل والمرأة.

- الدفع بالأَفراد والمجتمعات للتمرُّد على النُّظُم والقوانين والأحكام الاسلامية التي تنظم

(١) دراسة حول البعد التاريخي والمعاصر لمفهوم العولمة، غازي الصوراني، إصدار منتدى الفكر الديمقراطي الفلسطيني، ٢٠٠٠م، ص٨٠.

(٢) ينظر: الوطنية في عالم بلا هوية وتحديات العولمة، حسن كامل بهاءالدين، مكتبة الأسرة، ط٢٠٠م، ص١٠٧.

(٣) الاسلام والعولمة، ص ٦٣

(٤) العولمة، جلال أمين، دار الشروق، ٢٠٠٨م، ص٤٤-٤٥.

(٥) الإسلام والعولمة، ص٩٥.

وتضبط العلاقات العامة والخاصة.

- تكريس النزعة الأنانية لدى الأَفراد والمجتمعات، وتشجيع الجشع والانتهازية، والوصول الى الأَهداف بأي وسيلةٍ وطريقةٍ دون الالتفات إلى القيم السائدة الشريفة.

المبحث الثاني
العولمة الغربية في ضوء القرآن الكريم

ويتضمن:

المطلب الاول: حول مصطلح العولمة والتعامل معه

المطلب الثاني: بين العولمة والعالمية

المطلب الثالث: مؤاخذات على العولمة

المطلب الرابع: هل يمكن للمسلمين التعامل والاستفادة من العولمة الغربية

المطلب الأول: حول مصطلح العولمة والتعامل معه

إن العالم اليوم يتعامل مع مفرداتٍ ومفاهيم جذابة أَخذت تُنشر في الكتب والدراسات والمقالات والتصريحات، ومن هذه المصطلحات: مصطلح العولمة.

إن أَولَّ شيء يجب على المسلم أَنْ يمعّن النظر فيه عند ظهور كل أُطروحةٍ او ظاهرةٍ جديدةٍ هو مصدرها، فهذه مسألة تحتاج الى وعي وفطنة، وحَدَسٍ وخبرة وبُعْدِ نَظَر، حتى يتمّ تحليل الأمور والمفاهيم والظواهر بشكلٍ يمّيز الخبيث من الطيِّب، فالمؤمن كَيِّسٌ فَطِنٌ!

كما أَنها تحتاج الى إدراك عميق يكشف كل كلمة حقٍ يُراد بها الباطل حتى لا يخدع الإنسان ببريق المصطلحات، فيصرفه عن حقيقة المقاصد والأَغراض وراءها، خاصة إذا كانت نابعةً من خصوم الحضارة الإسلامية!

إن مهاجمة العولمة أو الاستسلام لها من أسهل الأمور التي يمكن أَن يقوم بها أيّ أحد، لكن الشاقّ حقاً هو التحليل العميق لجوهر مصطلح العولمة ودلالاتها وجذورها والآثار المترتبة عليها وقراءتها قراءة علمية صحيحة سليمة.

مصطلح العولمة من المصطلحات المعاصرة التي اختلف الباحثون والمفكرون خاصة في حقل الدراسات القرآنية بشأن تعريفها وتفسيرها وتحليلها ومن ثمَّ الحكم عليها والتعامل معها سلباً او إيجاباً!

ان العولمة على مستوى الاستخدام المباشر له لم يظهر في الكتابات العلمية، وتمَّ تناوله في الكتابات الفكرية والأدوات الإعلامية في نهاية عقد الثمانينات من القرن العشرين[1].

الشيخ القرضاوي يتكلم عن مصطلح العولمة ويقول: (العولمة في حقيقتها وأَهدافها وطرائقها اليوم، إنما هي الاستعمار بلونٍ جديد، وباسم جديد، وهي

(١) ينظر: العولمة الثقافية اثارها وأساليب مواجهتها، ص٢.

بعبارة صريحة أمركة العالم)[1].

* حقيقة هناك اتجاهين أَساسيين (من المنظور الاسلامي) حول مصطلح العولمة:

* الاتجاه الاول: يهاجم مصطلح العولمة ويعتقد أَنه برفضه لهذا المصطلح، ونقده الشديد له يدافع عن الدين والعقيدة الإسلامية، كأنّ العولمة تعني الخروج عن الإسلام وتعاليمه!

* أصحاب هذا الاتجاه يبرّرُون اعتقادهم هذا بأن لفظ العولمة لم يرد في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية، ولم يرد كذلك في أيّ كتابٍ او مصنف من كتب ومصنفات التراث الاسلامي!

* هؤلاء يعتقدون ان المشرفين على العولمة كانتماءات دينية كلهم معادون للإسلام، وان الدول التي تشرف على نشر العولمة وترّوج لها هي دول اوروبية معادية للإسلام، وان قيادة العولمة بيد الولايات المتحدة الأمريكية، وهي دولة معادية للإسلام، فمن هذا المنطلق فالعولمة -في نظرهم- وهي ستكون مصبوغة بالصيغة الغربية فلسفةً وغط حياةٍ حرب على الإسلام والمسلمين.

* فبناءً على هذا التوجّه والتحليل لمصطلح ومفهوم العولمة يرفضون كل أَشكال التعامل مع هذا المصطلح وأَصحاب هذه الفكرة!

* الاتجاه الثاني: في حين نجد اتجاها آخر يذهب الى القول بأنه وان كان لا يوجد لدينا في الاسلام مصطلح بلفظ (العولمة) لكن لدينا لفظ أَشمل من لفظ العولمة وهو لفظ (العالمين).

* مؤيدو الاتجاه الثاني يرون بأَنَّ العولمة هَدَفٌ إنسانيٌّ لا غنى عنه إلا بنشره وتقيمه، ولا طريق للإنسانية أمامها الا بالدخول فيها والانتماء اليها، فالعولمة بمفهومه الإسلامي الصحيح أَخذت تتبلور وتتكامل منذ بدء عهد الرسالة الإسلامية، فالإسلام اوّل من جاء بأسس العولمة الصحيحة وبلّغ لها ودعا اليها!

* فالله عزوجل وجَّه الإنسان وفطّره على العولمة وأرسل اليه نظاماً عالمياً يحمل طابع الكونية في فكره وفي اقتصاده وسياسته، ومن هنا تكوَّن مفهوم العولمة بالمصطلح المعاصر، ويُعبَّر عنها بـ(العالمية) بالمصطلح الاسلامي و القرآني.

هنا يمكن القول: بأن الدليل الذي يرجّح تصوَّر واعتقاد اصحاب الاتجاه الثاني هو أَن القرآن الكريم أَولُ من طرح فكرة العولمة الصحيحة، واوّل من أطلق لها الأُسس والقواعد الصحيحة، وهذا ما نلمسه بوضوح في مواطن وآيات متعددة في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: بين العولمة والعالمية

العالمية:

ان العالمية نزعة إنسانية، وتوجُّهٌ نحو التفاعل بين الحضارات، والتلاقح بين الثقافات، والمقارنة بين الأنساق الفكرية، والتعاون والتساند والتكامل والتعاون بين الأمم والشعوب والدول، ترى العالم

(١) موقع الشيخ يوسف القرضاوي على الشبكة المعلوماتية- الأنترنيت.

(منتدى حضارات) بينهما مساحة كبيرة من (المشترك الانساني العام)، لكل منها (هوية ثقافية) تتميّز بها، ومصالح وطنية وقومية وحضارية واقتصادية وأمنية لابدَّ من مراعاتها، في إطار (توازن المصالح) وليس (توازن القوى) بين هذه الأمم والحضارات[١].

من يتأمل الخطاب القرآني يلمس بوضوحٍ وجلاء أن (العالمية) من خصائص الإسلام الكبرى وأنها من السمات الأساسية والبارزة لهذا الخطاب، ومما يؤيد ويؤكد ذلك ورود لفظة (العالمين) في القرآن الكريم أكثر من (٧٣) مرة، في اكثر من (٣٨) سورة[٢]، من هذه الآيات:

* [يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ][٣].
* [يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ][٤].
* [إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ][٥].
* [وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ][٦].
* [إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ][٧].
* [إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ][٨].
* [وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ][٩].
* [وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ][١٠].
* [مَا أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ][١١].
* [فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ][١٢].
* [فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ][١٣].
* [قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ][١٤].
* [وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ][١٥].
* [قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ

(١) ينظر: بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية، ص١١.
(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبدالباقي، دار الحديث، القاهرة، ص ٤٨٠-٤٨١.
(٣) سورة البقرة، الآية ٤٧
(٤) سورة البقرة، الآية ١٢٢
(٥) سورة البقرة، الآية ١٣١
(٦) سورة البقرة، الآية ٢٥١
(٧) سورة آل عمران، الآية ٣٣
(٨) سورة آل عمران، الآية ٤٢
(٩) سورة آل عمران، الآية ٩٧
(١٠) سورة المائدة، الآية ٢٠
(١١) سورة المائدة، الآية ٢٨
(١٢) سورة المائدة، الآية ١١٥
(١٣) سورة الأنعام، الآية ٤٥
(١٤) سورة الأنعام، الآية ٧١
(١٥) سورة الأنعام، الآية ٨٦

رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ][1].

* [أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ][2].

* [قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ][3].

* [وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ][4].

* [وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ][5].

* [قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ][6].

* [قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ][7].

* [وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ][8].

* [وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ][9].

* [قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ][10].

فهذه النصوص تبين لنا وتثبت ان الإسلام رسالة عالمية وان القرآن الكريم تخاطب البشرية كافة، فالإسلام يعترف بتعدد الاجناس والأمم واللغات والعادات والتقاليد، كذلك يشبع الناس الذين ينتمون الى اجناس مختلفة ولغات مختلفة وثقافات مختلفة الى العيش معاً، والاعراف بالآخرين وثقافاتهم في اطار التوحيد الذين لا يكتفي بالاعتراف بالتعددية وانما سيعتبر تلك التعددية آية من آيات الله جلّ جلاله! قال تعالى:

* [يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗ...][11].

* [يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ][12].

* فالقرآن الكريم رسالة للبشر كافة، وهو رسالة عالمية لكل الأجناس والأمم على وجه الأرض، يقول الله عزوجل مخاطباً النبيَّ عليه الصلاة والسلام: [وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ][13].

* ويقول سبحانه عن القرآن الكريم: [تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ

(١) سورة الأنعام، الآية ١٦٢
(٢) سورة الأعراف، الآية ٥٤
(٣) سورة الأعراف ، الآية ٦٧
(٤) سورة الأعراف ، الآية ٨٠
(٥) سورة الأعراف، الآية ١٠٤
(٦) سورة الأعراف، الآية ١٢١
(٧) سورة الأعراف، الآية ١٤٠
(٨) سورة يونس، الآية ١٠
(٩) سورة يونس ، الآية ٣٧
(١٠) سورة الحجر، الآية ٧٠
(١١) سورة النساء، الآية ١
(١٢) سورة الحجرات، الآية ١٣
(١٣) سورة الأنبياء، الآية ١٠٧

نَذِيرًا][1]، ويقول: [إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ][2].

وفي قوله تعالى: [وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ][3].

نجد ان كلمة (مَنْ) في الآية الكريمة من الأسماء الموصولة، العامة[4]، اي هي من الفاظ العموم، معنى ذلك أَن الخطاب موجَّه الى كل أَهل الأَرض، وجميع أهل العالم، ولا يمكن أن يكون خطاب الله عزَّوجل الى أَهل الأَرض جميعاً إلا إذا كان الاسلام الذي أَنزله في كتابه، وبعث به رسوله الأمين محمد صلى الله عليه وسلم، جامعاً لكل أسس العولمة الصحيحة -إن صحَّ التعبير-، وشاملاً لجميع السنن والقوانين الصالحة لإدارة وقيادة العالم كله على منهج عادل وقويم، مُحَقِّقاً لجميع أَهل الأرض فرداً أَو جماعة الرَّغْدَ والدَّعة والأمن والاستقرار والسعادة والعيش الهنيء، والاسلام علاً هو كذلك، والاّ لما دعا إليها سبحانه عزوجل -وهو الحكيم المطلق- العالم كافة اليه: [وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ][5].

فما إن ظَهَر الإسلام حتى أَظهرت طبيعة (العالمية) في صورة مصغرة (جنينية)، فمن الايام الاولى كان حول الرسول من ضمن الصحابة الكرام سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي، لقد آخى الإسلام بينهم وصَهَرَت روحه القوية فوارق الدم والجنس فيهم! فالدعوة الاسلامية بدأت اولاً محلية، ولكن كان هذا في ترتيب البدء بالدعوة، لأن هذا هو ما يقتضيه طبيعة العمل والدعوة، اذ بدأت أَولاً [وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ][6]، ثم [أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا][7]، ثم جاء الأنصار، وأرسل الرسول صلى الله عليه وسلم الى الأنصار معلِّمين، ثم بدأت الهجرة الى المدينة، وفي المدينة كان من أَعمال الرسول الأُولى المؤاخاة التي قام بها بين المهاجرين والأنصار، بعدها جاءت (صحيفة الموادعة المشهورة) التي جَمَعَت الفئات اليهودية داخل إطار (أمة المدينة) ورتبَّت عليهم واجبات كما منحتهم حقوقاً مثل واجبات وحقوق الأنصار[8].

وتعدّ صحيفة الموادعة من أَوْلى المعاهدات ان لم تكن أُولى المعاهدات التي تترفع فوق حواجز الدين وفوارق الجنس وتمنح الجميع حقوقا وواجبات متساوية!

ومع الزَّمن كانت الطبيعة العالمية للإسلام تتضح وكانت نصوص القرآن الكريم صادعة بذلك، وحلت الآيات التي يتصدَّرها (يا أيها الناس) محلَّ

(١) سورة الفرقان، الآية ١

(٢) سورة الأنعام، الآية ٩٠

(٣) سورة آل عمران، الآية ٨٥

(٤) شرح الفية بن مالك، شرح فئة من المدرسين، دار العصماء، ط١، ٢٠١١م، ١/ ١٤٠.

(٥) سورة سبأ، الآية ٢٨

(٦) سورة الشعراء، الآية ٢١٤

(٧) سورة الشورى، الآية ٧

(٨) ينظر: دستور المدينة، مفخرة الحضارة الإسلامية، محمد مسعد ياقوت، ص ٢-٥.

الآيات التي تُوَجَّه للمؤمنين كدليل آخر على عالمية الاسلام وتصف عالمية الاسلام والخطاب القرآني من مثل:

* [يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ...][1].

* [يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ...][2].

* [يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ...][3].

* [قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا...][4].

* [وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ][5].

* [مَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا][6].

كذلك سلك السلام طريقة حضارية سليمة في الدعوة العالمية، تلك هي الخطابات التي ارسلها الرسول الى ملوك الدول المعروفة وقتئذٍ: الروم والفرس ومصر وتدعوهم للإيمان بالاسلام، وأَتمَّ الخلفاء الراشدون ما بدأه الرسول من تبليغ الدعوة الإسلامية، قال تعالى: [وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا...][7].

* [فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا...][8].

* [لِّيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ][9].

كما أَن رسالة الاسلام لم تقتصر على عالم الإنسان بل تعرَّضت ذلك الى عالم الجنّ قال تعالى:

* [قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا][10].

* [وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟...][11].

من جهة أُخرى إن طبيعة الاسلام الكونية تتضح أكثر في العبادات والشعائر مثل الصلاة والقيام والحج وغيره، ففي كل واحدة من هذه الشعائر يؤدي المسلمون من مختلف الأجناس واللغات والعادات والتقاليد نفس الشعائر وفي ذات الوقت الواحد على إمتداد العالم!

العولمة والعالمية توافق ام تعارض:

لاشك أَن عالمية الاسلام التي جاء في القرآن الكريم أَشمل لفظاً ومعنىً، وإطاراً ومحتوىً، واذا

(١) سورة البقرة، الآية ٢١
(٢) سورة النساء، الآية ١
(٣) سورة النساء، الآية ١٠٧
(٤) سورة الأعراف، الآية ١٥٨
(٥) سورة الأنبياء، الآية ١٠٧
(٦) سورة سبأ، الآية ٢٨
(٧) سورة البقرة، الآية ١٤٣
(٨) سورة النساء، الآية ٤١
(٩) سورة الحج، الآية ٧٨
(١٠) سورة الجن، الآية ١
(١١) سورة الأحقاف، الآية ٢٩

أردنا المساواة بين المصطلمين فبالتأكيد كلام الله أفضل وأدقّ وأصوب وأكرم من أيّ لفظٍ ومصطلح آخر، فالتعبير القرآني خالٍ من النقص، والاستخدام البشري يعتريه النقص..

فالعولمة لا تعني العالمية التي ينصّ عليها القرآن الكريم، فالإسلام لم يطلب من ايّ قومٍ وبيئةٍ ومجتمعٍ الانسلاخ من ثقافتهم وبيئاتهم و طرائق معيشتهم والذوبان في الأنموذج العربي لخدمة الاسلام ونصرة الدين، بخلاف العولمة التي تفرض لوناً معَّنياً من الثقافة والمنهج، وتطلب من الآخرين الذوبان فيها حتى على مستوى حَلْقِ الشَّعر وموضة الثوب وأَتكيت الطعام! فالعولمة الغربية أمام عالمية الاسلام تتهاوى في الموازنة والمقارنة لأن الدعوة الاسلامية شمولية وعامة كما اكدَّ وصرَّح بذلك النصوص القرآنية الآنفة الذكر!

هنا نقول: ان عالمية الإسلام تتميَّز بمعالم لا تتميَّز بها العولمة الغربية، من هذه المعالم:

١- مرجعيتها الى منهاج وهو الكتاب والسنة، والعولمة ليست لها مرجعية محددة.

٢- منهجها رباني، والعولمة مناهجها بشرية.

٣- العالمية صلاحيتها لكل زمانٍ ومكان وفرد وشعب، والعولمة تفتقر الى ذلك.

٤- إستيعاب العالمية لكل المتغيرات التي قطرأ على سير البشرية، والعولمة قاصرة في ذلك كله.

وفي إِشارة الى أهم الفروقات بين العولمة الغربية وعالمية الاسلام يقول المفكر الاسلامي عبدالكريم بكار: «إن العولمة تلتصق بتعميم التقنية والسلع والأموال والسياسة والمعلوماتية، على حين تنحو العالمية نحو القيم وحقوق الانسان والحريات والثقافات»[١].

يقول الدكتور محمد سعد الجابري: بأن العولمة تحمل طابع الهيمنة والفعل الأُحادي ذي الاتجاه الواحد، والعالمية طموحٌ الى الارتفاع بما هو خاص الى مستوى عالمي، فالعولمة محاولة لاحتواء العالم، والعالمية تَفَتُّحٌ على ما هو عالمي وكوني، العولمة تحاول إيجاد أَنماطٍ عالمية ثابتة وفرضها على الشعوب والأمم، بينما العالمية محاولة الى التماهي مع مستوياتٍ تبلورت على نحو طبيعي عبر حقب عديدة...[٢].

وفي معرض ذكره لنقاط الاختلاف بين العولمة والعالمية من منظور القرآن الكريم يقول الشيخ القرضاوي:

إن العالمية في الاسلام تقوم على أساس تكريم بني آدم جميعاً [وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ...][٣]، وكذلك على أساس المساواة بين الناس في أصل الكرامة الانسانية، وفي أصل التكليف والمسؤولية، وانهم جميعاً شركاء في العبودية لله تعالى، وفي البُنّوة لآدم، وأما العولمة فهي فرض هيمنةٍ سياسيةٍ وآقتصادية وثقافية وآجتماعية من جهةٍ ما على العالم و خصوصاً عالم الشرق والعالم

(١) ينظر: العولمة، عبدالكريم بكار، ص ٤٧.

(٢) ينظر: العولمة ومسألة الهوية بين البحث العلمي، والخطاب الأيديولوجي، محمد سعد الجابري، ص ٤.

(٣) سورة الإسراء، الآية ٧٠

الثالث وبالأخص العالم الاسلامي[1].

اخيراً: وفي تأكيد كل ماسبق ذكره من التعارض بين المصطلحين يقول الدكتور محمد عمارة:

(إذا اردنا المقارنة بين (العالمية الاسلامية) وبين (العولمة الغربية) فإننا لا نعْدو الحقيقة اذا قلنا: انهما على طرفي نقيض.. فالعالمية الاسلامية هي تنوّع، وتعارف، وتعايش، وتدافع، وتسابق في إطار الوحدة الاسلامية والمشترك الانساني العالم، اما العولمة الغربية: فإنها صراعٌ، وتفتيت وفوضى يسمَّونها خلاّقة! في إطار الهيمنة الغربية التي تريد صبّ العالم في القالب الحضاري الغربي دون سواه)[2].

المطلب الثالث: مؤاخذات على العولمة

الفرق بين العولمة والعالمية كما تبيَّن لنا هو كالفرق بين الاستقامة والانحراف، اذ الهدف في العولمة الغربية صبُّ العالم في نهجٍ غربي خاصٍ به اقتصادا واجتماعا وسياسة وثقافة وتربية وتعليماً وسلوكاً...الخ، وذلك لتحصيل الربح المادي الأكثر وتحقيق الملذات المادية أكثر!

الذي أريد التركيز عليه هنا أن الجانب الروحي هو الجانب الأهم بالنسبة الى بقية الجوانب في حياة الانسان، اذ للروح نصف الأهمية وللبدن النصف الآخر، فلما كانت العولمة الغربية مخالفة مع الفطرة السليمة والعقلانية، ومتناسبة الجانب الروحي، وكانت منحصرة فقط في البدن والماديات وتحقيق الملذات جاءت عواقبها وخيمة وتبعاتها مدّمرة للفرد والمجتمع والبشرية جمعاء! فلا الاقتصاد صحيح، ولا السياسة صحيحة، ولا الاجتماع سليم، ولا التربية سليمة! فعنصر الروح والايمان هو السبب والعنصر الفاعل في قيام ايّ حضارة وازدهارها، او انحطاطها وانهيارها.

وهذا ما نبَّه عليه القرآن الكريم، وتكرَّر ذلك كثيراً في القرآن المكي.

قال تعالى: [قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ][3].

[فَكَأَيِّن مِن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ وَقَصۡرٖ مَّشِيدٍ][4].

[أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ...][5].

ومعلوم ان غياب الايمان والفطرة هو السبب في انهيار اي حضارة وانتهائها وانحطاطها، ذلك أَن غياب الايمان والاعتقاد الصحيح يقترب عليه سيادة قيمٍ ومبادئ اجتماعية أخلاقية تجسّد الجوانب المادية في الطبقة البشرية، حينئذٍ يسود منطق الأثرة والأنانية والنفعية بدلاً من الإيثار والمحبة والتعاون ويحلّ الظلم ويغيب العدل ويرتفع كل معنىً اخلاقٍ وروحي نبيل، سيود بعد ذلك منطق الغاب وسيادة

(١) مفهوم العولمةوماذا تعني؟ د.يوسف القرضاوي، موقع اسلام أونلاين.

(٢) بين العالمية الاسلامية والعولمة الغربية، ص١١.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٣٧

(٤) سورة الحج، الآية ٤٥

(٥) سورة غافر، الآية ٨٢

الأقوى، فكيف يكون حينئذٍ حال مجتمعاتٍ يعيش أفرادها تحت سيادة هذه المبادئ؟! كيف سيكون حال العلاقات بين الدول اذا تبنّت قادتها هذه المبادئ في التعامل فيما بينها؟!

واقع العولمة الآن تبيّن لنا ان الدول الضعيفة والفقيرة تُكوى بنار هذا المنطق وهذه المبادئ في تعامل الدول الكبرى معها، اذ سيطرت هذه الدول على خيرات العالم الثالث سلباً ونهباً، ويكون القتل والتشديد مصير من يقاومها ويقف في مواجهتها.

عند التأمل لقوله تعالى: [فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ][1] نجد أن الفرج هنا ليس مجرد التعبير عن السرور النفسي، وإنما هو الغرور الشيطاني الذي حذّر منه القرآن الكريم في تحذيره لقارون: [إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ][2] فلقد اغتر هؤلاء بما عندهم من العلم كما يغترُّ أبناء عصر العولمة الغربية بما عندهم من العلم والتقنية والتكنولوجيا وعالم الاتصال، فنسوا أَن العلم هو وسيلة بناء الحضارات وازدهارها، وانه هو نفسه قد يكون سبباً في انتهائها وإبادتها، ومن هنا جاء الأمر الالهي بالقراءة المقرونة باسم الرب الخالق وليس بالقراءة المبتورة من الخالق [ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ][3].

المطلب الرابع: هل يمكن للمسلمين التعامل والاستفادة من العولمة الغربية

لا شك أَن الباحث ليس مع أو ضدَّ العولمة الغربية، لكنّه مع النظرة النقدية الواعية للعولمة، والضرورة تحتم ان يكون للمسلمين نظرتهم النقدية التي تتعمق القضايا بكل أبعادها، وتُحلِّلها من جميع جوانبها! فالعولمة واقع لا يجدى معه أسلوب الرفض، فهو تيار سَيْطَرَ وتَغلغل في جميع مجالات حياتنا، فلا يجوز أَن نتجاهل أننا نعيش الآن في عصر ثورة الاتصالات والمعلومات والثورة التكنولوجية، وفي عصر السموات المفتوحة، وهذا يعني أنه لا مجال للانعزال او التقوقع!

واذا كانت العولمة ستهدف الى إزالة الحواجز الزمانية والمكانية والثقافية والسياسية والاقتصادية بين الشعوب والأمم، وتحاول بُطُرقٍ مختلفة فرض قيم معينة وحضارة معينة هي قيم الحضارة الغربية أو قيم الاقوياء، فإن ذلك لا ينبغي أَنْ يصيبنا بفكرة الانعزال أو الفزع وفقدان التوازن، لأن ذلك لا يجدي نفعاً، ولن يتيح لنا الفرصة للتفكير السليم، فنحن -كما اشرت- أَمام واقعٍ واجبنا أَن نتعامل معه، وهذا الواقع ليس كله شراً، وليس كله خيراً، ومن هُنا ينبغي التعامل معه على هذا الأساس.

ان العولمة عند البعض تمثَّل بالنسبة للمسلمين دعوة غير مباشرة إلى ممارسة النقد الذاتي ليعيدوا النظر في حساباتهم، ويعيدوا ترتيب البيت من الداخل، وهذه الدعوة تأتي بطبيعة الحال دون قصد

(١) سورة غافر، الآية ٨٣
(٢) سورة القصص، الآية ٧٦
(٣) سورة العلق، الآية ١

من أَصحاب العولمة، وقد يرى البعض أَن العولمة تمثّل استفزازا للمسلمين ونرى أَنه استفزازا مفيدٌ إذا أَحسن المسلمون التعامل معه بأسلوبٍ عقلانيٍ بعيدٍ عن التشنُّج والانفعال.

كيف نتعامل مع العولمة الغربية:

الأَخذ بأسباب النصر والتمكين: فهما كانت للعولمة من مخاطر وفتن فإن الله يعافي الأمة إذا هي قابلت وواجهت هذه المخاطر بأدواتها وطرقها وأساليبها المناسبة، لأن البقاء إنما يكون للذي بَنَى أَساسه على العدل والقسط، والعاقبة انما تكون للذي رصَّ بنيانه على قواعد الفطرة والعقلانية، بينما الذي أَسَّس بنيانه على خلاف ذلك يكون مصيره الزوال والسقوط، لكن رغم ذلك فان الله تعالى رتَّب حصول الخيرات والنجاح والنصر في الدنيا ترتيب الجزائر على الشرط والعلة على المعلول والمسبَّب على السبب.

* قال تعالى ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ ...﴾[1].

* وقال تعالى﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ ﴾[2].

* وقال عز وجل: ﴿ كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ ﴾[3].

* فاذا عمل المسلمون العمل المُرْضي والمؤَطَّر بإطار العصر ومتطلبات الحياة المعاصرة إستحقوا النصر والتمكين، قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾[4].

* فهذا الوعد جاء بعد قوله تعالى:﴿ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾[5].

* فوعد الله تعالى بالتمكين للمؤمنين مسبوق بالأمر بطاعة الله ورسوله (وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْ) وأَخصّ صفات هؤلاء المؤمنين الموعودين بالتمكين هو عبادة الله وحده (يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗا) ثم عقبّ ذلك بقوله (لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ).

١-تقوية الجانب الروحي:

من أعظم وأَنفع وسائل التعامل مع العولمة الغربية، قال تعالى:﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـٔٗاۗ ﴾[6].

* وقال:﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ... ﴾[7].

(١) سورة التوبة، الآية ١٠٥
(٢) سورة محمد، الآية ٧
(٣) سورة الإسراء، الآية ٢٠
(٤) سورة النور، الآية ٥٥
(٥) سورة النور، الآية ٥٤
(٦) سورة آل عمران، الآية ١٢٠
(٧) سورة آل عمران، الآية ١٧٢

* وقال:﴿ إِن تَتَّقُوا ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ﴾ (١).

* وقال:﴿وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ (٢).

يقول ابن القيم (٧٥١ هـ) : (ولقد دلَّ العقل والنقل وتجارب الأمم على اختلاف أجناسها ومِلَلِها ونِحَلها على ان التقرُّب الى رب العالمين وطلب مرضاته... من أعظم الأسباب الجالبة لكل خير، وأضدادها من أكبر الأسباب الجالبة لكل شر، فما استجلبت نِعمُ الله تعالى واستدفعت نقمته بمثل طاعته والتقرُّب إليه) (٣).

ولا شك أَن المال والاقتصاد وشهوات الجنس والشهرة والسيطرة والاحتواء والاقتناء وحبُّ الدنيا هي من السمات الأساسية والبارزة للعولمة الغربية، وهذه المظاهر لا يمكن مجابهتها ومقاومتها والتعامل معها بالأنشطة العقلية والفكرية وإنما يجب مقاومتها والتعامل معها بالمعاني الروحية والسلوك التعبدي، يقول عبدالكريم بكار: ان الدنيويات تقاوم بتيار روحيَّ متدفق من المشاعر والأحاسيس الإيمانية والذي لا يتولَّد الا عن طريق المزيد من الأَعمال التعبدية (٤).

لذلك فإن لتربية الأسرة والأفراد على المعاني الروحية والتعبديّة أهمية كبيرة في الثبات وتحصين النفس في التعامل مع العولمة، قال تعالى﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ ﴾ (٥).

٢- العمل الإسلامي المشترك:

عنصرٌ أَساسي من عناصر التعامل مع العولمة الغربية، قال تعالى﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ..﴾ (٦).

فلا يمكن التعامل مع العولمة الغربية إيجاباً في ظل الضعف والتفكك السياسي والاقتصادي والثقافي، فالتعامل مع العولمة يفرض على الشعوب الإسلامية أَعمالاً كثيرة وكبيرة من قبيل:

التعاون بين شعوب العالم الاسلامي، وتفعيل المؤسسات الإسلامية القائمة، وبلورة مشروعٍ دعويّ استراتيجي لعرض الإسلام على المستوى العالمي، وتشجيع السياسات التجارية والاقتصادية بين الدول والمجتمعات الإسلامية، كذلك الاهتمام والتعاون في المجال التقني والعلمي والتجريبي وذلك بفتح جامعاتٍ خاصةٍ لدراسة فروع المعرفة الأساسية كالطب والهندسة والكيمياء والعلوم الانسانية الأخرى يتوافد اليها الطلاب من جميع البلدان الاسلامية(٧).

٣-تنشيط البحث العلمي في الجامعات والمؤسسات العلمية:

(١) سورة آل الانفال، الآية ٢٩

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٣٩

(٣) الداء والدواء، ابن قيم جوزية، تحقيق: على حسن عبدالحميد، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ص٢٥.

(٤) ينظر: العولمة، عبدالكريم بكار، ص١١٤.

(٥) سورة طه، الآية ١٣٢.

(٦) سورة الانفال، الآية ٤٦.

(٧) ينظر: المصدر السابق، ص١٢٧-١٢٨.

كذلك له دور أساسي للتعامل الأَسهل مع ظاهرة العولمة، ذلك لأن أكبر تحدّ يواجه المسلمين في عصر العولمة هو التحدي العلمي، فبناء القاعدة العلمية الرصينة المبنية على التفوق والابداع والبحث العلميِّ الرصين هي مفتاح التعامل مع تحديات ومخاطر العولمة.

كيف يستفيد المسلمون من العولمة الغربية:

إذا تعامل المسلمون مع العولمة على أساس معرفة أوجُه الخلل في حياتهم وأبنيتهم وتحقيق تلك العناصر الآنفة الذكر، ووصلوا إلى مستوىً عالٍ من التحضر بالمقاييس المعنوية والمادية، فإنّ هناك فرصاً كبيرة للاستفادة من العولمة الغربية، فالعولمة يمكن ان تُقّدم خدمة كبيرة جليلة للبلدان والشعوب الاسلامية، ويمكن أن تنجح في تحقيق كثير من الأهداف التي لم تنجح حركات التجديد والصحوة منذ عشرات السنين في تحقيقها!

ولعلَّ من حسنات العولمة التي يمكن أن يستفيد منها المسلمون أَن الدوائر المغلقة المفروضة على الأمم والشعوب بدأت تتلاشى، و تنهار، وتسقط الأسوار، لتتحقق الفرصة التاريخية للإقلاع من جديد، ومحاولة إظهار الإسلام على المستوى العالمي، ليصبح ظاهراً واضحاً مستفيداً من نفس الوسائل والطرق التي بنيت لتوصيل (الآخر) بكل مساوئِهِ علينا، تحت شعار: (دَعْهُ يعمل، دَعهُ يَمر)، فكيف نفكّر نحن أَيضاً بـ(ماذا نعمل، كيف نمرّ) لتوصيل ما عندنا الى الآخر، وعندنا الكثير مما نقدّمه.

وهذا ليس بدعاً في تأريخ الحضارات فكثيراً ما تحوّل الشرّ خيراً! ويمكن أَن يستفيد المسلمون من العولمة باستغلال الحريات لتقفل بسرعةٍ والدخول في ميادين عديدة، واستثمار وسائل الإعلام والاتصال والتكنولوجيا الحديثة في قضية إقناع قطاعاتٍ عريضةٍ من الشعوب الأخرى بأن الاسلام يستطيع أَن يلبيِّ حاجات الناس المادية والنفسية ويمكن أن يعمّر لهم الدنيا ويوصلهم الى الآخرة! والردّ على الشبهات المثارة بحرية دون وصايةٍ أو رقابةٍ رسمية.

الباحث والمفكر الاسلامي (احمد القديدي) يرى بأن لوسائل الإعلام الغربية وعلى سبيل المثال شبكة (CNN) دوراً كبيراً في بثّ الروح الإسلامية بين المسلمين في العالم الاسلامي[1]، فكيف لو وُجِدَت فضائيات ومواقع على الشبكة المعلوماتية ذات استراتيجيات إسلامية ومستفيدة من ثروات العلم وروح العصر؟!

فرصته أخرى للعولمة: أَن سهولة الاتصالات ونقل المعلومات تحدث نقلة نوعية في أَساليب الإدارة والعمل، فيستطيع الأفراد العمل من منازلهم في بعض الوظائف[2].

العولمة كذلك تتيح فرصة الوصول الى المعرفة الشاملة التي في حوزة الآخرين في مختلف المجالات كالمجال الاقتصادي، والمجال السياسي، والمجال

(١) ينظر الإسلام وصراع الحضارات، الدكتور احمد القديري، ص ٤٩.

(٢) ينظر: العولمة مقاومة وآستثمار، الدكتور ابراهيم الناصر، مجلة البيان.

الثقافي، والمجال الاجتماعي.

الخاتمة

أهم النتائج التي توصلت إليها في كتابة هذا البحث:-

١. العولمة الغربية عمليةُ اختراق كبرى للإنسان وتفكيره، وللذّهنيّات وتراكيبها، وللمجتمعات وأنساقها، وللدول وكياناتها، وللجغرافية ومجالاتها، وللاقتصاديات وحركتها، وللثّقافات وهويّاتها، وللإعلاميات ومدياتها.

٢. إذا كانت العولمة المعاصرة قد اعتمدت الغزو الثقافي مآخذ الأسلحة لحماية الغزو السياسي والاقتصادي، وشلّ القدرات والإمكانات الوطنية والداخلية عن المقاومة، فهو سلاح قديم ايضاً استعمله الاستعمار القديم على نطاق واسع في العالم الإسلامي.

٣. إن عالمية الإسلام تختلفُ اختلافا جذرياً عن العولمة التي جاء بها الغرب، فعالمية الإسلام قائمة على المحبة والرحمة [وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ]، والعولمة الغربية وسيلة الغازي وتدعو إلى الهيمنة واستلاب حريات الآخرين وتبديد الأموال وانتهاك الحرمات.

٤. العولمة ليست شراً كلها، فقد فتحت فرصاً وآفاقاً إيجابية، وميادين للتنافس، ويسّرت وسائل للوصول إلى (الآخر)، ومكّنت من فتحِ آفاقٍ ومجالاتٍ للحوار، وقدّمت فرصاً وإمكاناتٍ سوفَ تُخرجُ الكَثيرَ من الأمم الرّاكدة من رقدتها.

٥. لَمّا كانت العولمة الغربية مخالفة للفطرة السّليمة ومتناسيةً للجانب الرّوحي وهي الجانبُ الأهمّ في حياة الإنسان جاءت عواقبها وخيمةً وتبعاتها مدمّرة على الفرد والمجتمع والبشريّة جمعاء.

فهرس المصادر والمراجع بعد القرآن الكريم

١. اثر الهوية على الثقافة الاسلامية، د. عبد الرافع محمد امين، مجلة الدراسات الدعوية، العدد ٧، يناير ٢٠٠٤م.

٢. الاسلام والعولمة، سامي محمد صالح الدلال، مجلة البيان، ط١، ٢٠٠٤م.

٣. بين العالمية الاسلامية والعولمة الغربية، د. محمد عمارة، مكتبة الامام البخاري للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٩.

٤. تأثير العولمة السياسية على الوطن العربي، أشرف غالب أبو صالحة، رسالة علمية، جامعة الشرق الأوسط، ٢٠١٢م.

٥. تحديات العولمة واثارها على العالم العربي، دكتور غربي محمد، مجلة اقتصاديات شمال افريقيا، العدد السادس.

٦. الخروج من فخ العولمة، د. كمال الدين عبد الغني المرسي، اسكندرية، ط١، ٢٠٠٢م.

٧. الداء والدواء، ابن قيم جوزية، تحقيق: على حسن عبد الحميد، دار ابن الجوزي، المملكة العربية

السعودية.
٨. دراسة حول البعد التاريخي والمعاصر لمفهوم العولمة، غازي الصوراني، إصدار منتدى الفكر الديمقراطي الفلسطيني، ٢٠٠٠م.
٩. دستور المدينة، مفخرة الحضارة الإسلامية، محمد مسعد ياقوت.
١٠. شرح الفية بن مالك، شرح فئة من المدرسين، دار العصماء، ط١، ٢٠١١م، ١/ ١٤٠.
١١. العرب والعولمة، محمد عابد الجابري، مركز الدراسات الوحدة العربية، ١٩٩٨م.
١٢. العولمة الاقتصادية من منظور اسلامي، دكتور عبدالله بن حسين الموجان، مكتبة الملك فهد الوطنية، مكة المكرمة، ط١، ٢٠٠٤م.
١٣. العولمة الثقافية اثارها واساليب مواجهتها، د. صالح سليمان الرقب، عمان-الأردن، ط ٢٠٠٨.
١٤. العولمة الثقافية واثرها على الهوية الاسلامية، محمد الهواري، مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية، ٢٠١٣م
١٥. العولمة جريمة تذويب الأصالة، عبد الصبور شاهين، كتاب المعرفة، السعودية، العدد ٤٨.
١٦. العولمة ماهيتها نشأتها اهدافها الخيار البديل، محمد سعيد ابو زعرور، دار البيارق، الأرون، ط١، ١٩٩٨م.
١٧. العولمة مقاومة واستثمار، الدكتور ابراهيم الناصر، مجلة البيان.
١٨. العولمة والتربية، جريدة البيان، الامارات العربية المتحدة -دبي، العدد ٢٥، ١٦/ يوليو/ ٢٠٠١م.
١٩. العولمة والهوية الثقافية، محمد عابد الجابري، دار المستقبل العربي، بيروت، العدد ٢٢٨، ١٩٩٨م.
٢٠. العولمة وآليات التهميش في الثقافة الغربية، احمد مجدي حجازي، ١٩٩٨م، ص٣.
٢١. العولمة وتأثيرها على المجتمع، مقالة كتبها: فضل عبد الرحمن، بتأريخ ١٣/ مارس/ ٢٠١٠.
٢٢. العولمة ومسألة الهوية بين البحث العلمي، والخطاب الأيديولوجي، محمد سعد الجابري.
٢٣. العولمة: طبيعتها-وسائلها، تحدياتها-التعامل معها، عبد الكريم بكار، المملكة الأردنية الهاشمية، ط٣، ٢٠١٣.
٢٤. العولمة، جلال أمين، دار الشروق، ٢٠٠٨م.
٢٥. العولمة، زين الدين الركابي، جريمة الشرق الأوسط، ١٣/ ٣/ ١٩٩٩.
٢٦. العولمة، سليمان بن صالح الخراشي، مكتبة الملك فهد للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٠.
٢٧. مجلة الهلال، محمود فهمي حجازي، ٢٠٠١م، القاهرة.
٢٨. مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، دكتور محمد عمارة، ١٩٩٩م، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
٢٩. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة.
٣٠. ندوة الاسلام والعولمة، مجموعة من الباحثين، الدار القومية العربية.

٣١. الوطنية في عالم بلا هوية وتحديات العولمة، حسن كامل بهاءالدين، مكتبة الأسرة، ط ٢٠٠م

مواقع الأنترنت:

١. العولمة والحياة الثقافية في العالم الاسلامي، المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرياض، موقع ارسيسكوا (الشبكة العنكبوتية).

٢. مفهوم العولمة وماذا تعني؟ د. يوسف القرضاوي، موقع اسلام أونلاين.

٣. موقع الشيخ يوسف القرضاوي على الشبكة المعلوماتية-الأنترنيت.